حركة الاستيطان الروماني في بلاد المغرب القديم
في أواخر العهد الجمهوري (133-27 ق .م)

أة./ يسينة بوزكري
قسم التاريخ/ جامعة الجزائر2.

ساد الاعتقاد أن الاستيطان الروماني في شمال إفريقيا هوولید العهد الإمبراطوري، وأن العهد الجمهوري لم يشهد أية محاولة جادة لتكريس هذه السياسة من قبل الرومان، لكن الواقع يؤكّد غير ذلك ؛ إذ أنهم أولوه عناية واهتماها، حينما أحسّوا بثقل الظروف الاجتماعية والاقتصادية على روما. وهوما دفعنا للاهتمام بالموضوع للوقوف على المحاولات الأولى لكل من الأخوين كراكوس، وكذلك ماريوس ويوليوس قيصر ؛ مركزين على دوافع هذه الحركة، وأهم المستوطنات التي أسُست في الفترة (133-27 ق م).

بداية يجب الاحاطة بمعنى الاستيطان، فنقول أنه هوعملية شبيهة بالاستعمار الاستيطاني الحديث، يتخذ فيه المرء أوالجماعة أوالشعب بلدا جديدا وطنًا بديلاً للوطن الأصلي. ويُعد لاحق على الاحتلال وسابق لمرحلتي التعمير والعجن الثقافي والحضاري الذي نسميه رومنة في حال حديثنا عن الرومان. أما عن دوافعه، فأقل ما يقال أنها عوامل ومشاكل عديدة أجبرت الحكام الرومان على حلّها بواسطة الاستيطان.

I - دوافع الاستيطان الروماني :

لم تكن روما في بداية العهد الجمهوري تعاني من كثرة السكان إلى درجة تستدعي التفكير في توسيع مجالها الحيوي على حساب جيرانها، لكن ذلك تغّير في الفترة الأخيرة، نتيجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الناجمة عن حروب التوسع في ايطاليا ثم الحروب الأهلية، وأخيراً الحروب البونيقية خاصة الحرب الثانية، التي جرّت معظم أطوارها في ايطاليا خاصة الوسطى والجنوبي ؛ مما تسبب في تخريب الريف وهجرة الفلاحين نحوالمدن خاصة روما، التي اكتظّت بالفلاحين العاطلين عن العمل، وما تولّد عن ذلك من آفات اجتماعية.

وسنسعى هنا إلى تسليط الضوء على طبيعة هذه الأزمة التي عاشتها روما، مستهدفين من وراء ذلك إماطة اللثام عن مختلف الدوافع التي غذّت رغبة الرومان في التوسع على حساب بلاد المغرب وإلحاقه بمجالها الحيوي.

1 - الدوافع الاقتصادية :

شهدت روما أزمة اقتصادية حادة، أحسّ حُكامها بثقلها على المجتمع الروماني وبالخصوص ايطاليا، حيث أصبحت الأوضاع مقلقة، والخطر قد يتصاعد في أية لحظة نتيجة البؤس الذي طال فئات عديدة من الشعب. وكان ذلك نتيجة عوامل مختلفة، منها انحسار الزراعة وتراجعها في شبه الجزيرة الايطالية، بالإضافة إلى مشكلة فقر الريف وإقفاره من الفلاحين، وهوأمر ناتج عن تراجع طبقة الفلاحين الصغار والأحرار، وانتشار نطاق الأراضي الخاصة بالأثرياء الذين استولوا على أراضي صغار الفلاحين، وكوّنوا الضيّع الكبرى (Latifundia)، التي توجهت إما نحوتربية الماشية أوالتشجير[1]، وبدأ استخدام العبيد عوض الفلاحين الذين هاجروا الريف، ونظراً لقلة خبرة هؤلاء العبيد في خدمة الأرض والأعمال الزراعية[2]، بحكم أنهم كانوا غالبا من ضحايا الحروب التي سلطتها روما على الكثير من الشعوب، فجُلبوا إليها كعبيد مغلوبين، أصبحت زراعة الحبوب عاجزة على تلبية حاجيات المجتمع.[3]

سعى تيبريوس كراكوس (162- 133 ق م) إلى تدارك الوضع[4]، باتخاذ تدابير تكفل وضعاً أقل عسراً على فئات الشعب المتضرّرة، فكانت أولى المشاكل التي تطلبت علاجا سريعا، هي مشكلة هجر الريف من قبل الفلاحين الأحرار وتدهور الزراعة، فتوجب العمل للحد من اتساع الملكيات الزراعية الخاصة بكبار المُلاك[5]، التي ولّدت تضخما غير مبرّر للعبيد في الضيّع الذين يقومون بحرث الأرض من دون إحقاق النتائج المنتظرة. وبالمقابل العمل على بعث الملكيات الصغيرة والمتوسطة، فاقترح مجموعة من الحلول في إطار مشروع تقدم به إلى مجلس الشيوخ ليتمكن من استصدار قانون يتعلق بالملكيات الصغيرة،

---

[1] عبد اللطيف (أ.ع)، التاريخ الروماني، عصر الثورة (من تيبريوس كراكوس إلى أوكتافيوس أغسطس)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973، ص.2.

[2] Appien, Histoire des Guerres Civiles de la république romaine, I, 13, Trad. J. Combes – Douvous, (1808) ; Lacroix (F), " l'Afrique Ancienne", in Revue africaine, volume 13, (1869), p, 14.

[3] بشاري (محمد الحبيب)، دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146ق. م. و285 ق.م. أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2007/2006.ص. 113.

[4] Gascou (J), la politique municipale de l'empire romaine en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime – Sévère, Rome, (1972), p.16

[5] Peganiol (A), Histoire de Rome, Paris, (1949), p.141

الهادف إلى توزيع الأرض على الفلاحين الصغار من الرومان والايطاليين لتغيير وتحسين صورة الريف الايطالي.[1] وينص هذا القانون على تحديد الملكية بـ 500 يوجيرة لكل مستفيد من الأراضي العامة (ager publicus)، يُضافُ إليها نصفها إذا كان لديه ولداً واحداً، ومثلها إذا كان لديه أكثر من ولد ؛ تلك إذن هي الخطوة الأولى في الإصلاح الذي اقترحه تيبريوس كراكوس، والخطوة الثانية هي إنشاء لجنة ثلاثية (Tresviri agris indieandis adsignandis)، تتولى تحديد الأراضي الواجب استردادها لتوزع على المستحقين لها، وكان هذا الإجراء بمثابة محاولة لدفع الفلاحين للعودة إلى الريف وخدمة الأرض.[2]

لكن هذه الإصلاحات لم يكن من السهل تحقيقها ما دامت تمس بمصالح الطبقة الارستقراطية من النبلاء المسيطرين على الأرض وأصحاب النفوذ في مجلس الشيوخ، فلم يكن ميسوراً لسمبرونيوس تمرير مثل هذا المشروع، اذ عمل أعضاء هذا المجلس على عرقلة أعمال لجنة الإصلاح الزراعي، مثلما رفضوا اعتماد الأموال اللازمة لتمويل المشروع بشكل عام ؛ ونقصد هنا تخصيص ميزانية لتزويد صغار المُلاّك الجُدد بالماشية والآلات الزراعية. ورغم أن تيبيريوس قد اهتدى إلى حل آخر بتخصيص جزء من تركة ملك برجامون آتالوس الثالث (Attalus III) التي أوصى بها للشعب الروماني، إلا أن ذلك لم يؤت أُكله، بل تعقّدت الأمور وعُمق الصراع بين الأشراف والعامة، ما أدى إلى مقتل سمبرونيوس كراكوس والكثير من حاشيته من قبل المتطرفين من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، فتحطم بذلك مشروعه بمقتله.[3]

إذا كان موقف النبلاء ومجلس الشيوخ من الأسباب الرئيسية لفشل المشروع، فان هناك أسباباً أخرى كثيرة ساهمت بدورها في فشله وقبره منها :

- أن هذا المشروع لم يتناول الأراضي الخاصة (ager privatus)، بل اقتصر فقط على الأراضي العامة (ager publicus)، وهوما لم يضمن الراديكالية في التغيير ؛ يقول عبد اللطيف أحمد علي: «أنه لم يهدف إلى أكثر من تنفيذ قوانين

---

[1] ديورانت (ويل)، قصة الحضارة، المجلد الثالث، ترجمة، محمد بدران، الطبعة الثانية، القاهرة، (1964)، ص.121.

[2] أيوب (إ. رزق الله)، التاريخ الروماني، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط. 1، (1996). ص. 206.

[3] شنيتي (محمد البشير)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا 146 ق.م - 40 م)، الجزائر، 1984، ص. 122؛ جوليان (شارل أندري)، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة، محمد مزالي وبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، (1969). ص. 152 ؛ عبد اللطيف (أ.ع)، المرجع السابق، ص. ص، 11- 13.

قديمة مُهملة كانت تنص على تحديد ما يجوز أن يبقى من الأراضي العامة في حيازة فرد واحد، وإلى استرداد الدولة لأراضيها من أيدي الذين استحوذوا عليها بطريقة غير شرعية، والى متابعة سياسة توزيع الأراضي العامة على المواطنين على نطاق أوسع من ذي قبل.»[1]

- صعوبة اختيار المنتفعين الذين لهم دراية بالزراعة والفلاحة من بين العاطلين في المدن والأرياف هذا من جهة ؛ ومن جهة ثانية صعوبة ربط صغار الفلاحين والزراع بالأرض، كون هذه المسألة مرهونة بالأحوال الاقتصادية في تلك الفترة.[2]

- الصراع القائم بين مجلس الشيوخ الذي يشرّع لصالح النبلاء، والجمعية القبلية التي تحاول أن تشرّع لصالح الطبقة العامة، مما حال ووجود وفاق يُنظِّر للمصلحة العامة ويراعيها.

بعد فشل المشروع الإصلاحي لتيبريوس سمبرونيوس كراكوس، جاء شقيقه كايوس كراكوس (Gracchus Caius)، الذي احتضن مشروع أخيه الهالك باعتماد سُبل أكثر عملية، فصاغ برنامجا إصلاحيا متميزا مُنبنيا على أسُس مغايرة لسياسة أخيه (تيبريوس كراكوس) ؛ ولكنها تؤول مجتمعة إلى إضعاف سلطة مجلس الشيوخ، والحد من نفوذه الذي لم يكن له حدود، ومن القوانين التي أصدرها بصفته ممثلا للعامة أو"تربينيونا للشعب" نجد:

1. قانون حماية المواطنين من محاكم مجلس الشيوخ الاستثنائية ؛ وزيادة أعضاء السيناتو. وقد قوبل بالرفض لمساسه بمصالحهم.
2. قانون ولايات القناصل.
3. قانون إصلاح القضاء عن طريق معاقبة المُحلفين المرتشين، واختيار المُحلفين من الفرسان.
4. قانون الأراضي والجباية.
5. قانون القمح والمنح الغذائية التي تخصّصها الدولة للمغلوبين على أمرهم من الفقراء والدهماء. وهوأمر سنشير إليه في الدوافع الاجتماعية.
6. قانون الجيش والطرق.
7. وأخيرا قانون إنشاء المستعمرات للمواطنين الرومان.[3]

---

[1] المرجع نفسه. ص. 6.
[2] المرجع نفسه. ص. 7.
[3] أيوب (إ. رزق الله)، التاريخ الروماني. ص. 212.

هكذا نلاحظ طموح هذه التشريعات، التي كان الهدف منها هومعالجة مشاكل روما من الأساس، إذ حاول كايوس كراكوس من ناحية حماية المواطنين، ومن ناحية أخرى القضاء على احتكار مجلس الشيوخ بتطعيمه بدماء جديدة، فضلاً عن ذلك فقد حاول أن يعالج نقطة هامة، وهي "مسألة الأرض" وما يرتبط بها من "ملكية" و"إنتاج"، التي تسببت في وجود أعداد كبيرة من الفلاحين العاطلين في روما، الذين يضاف إليهم الجنود المسرحين. فكان على كايوس أن يحل المشكل "بالتموين" مؤقتاً، وبإنشاء المستوطنات في المقاطعات للتخلص من ذلك الفائض السكاني الذي تعانيه المدن في ايطاليا خاصة "روما".

وما يلاحظ هنا أن بعض هذه التشريعات كانت ذات أهمية، وستنال حظها من التطبيق بشكل واسع في العصر الإمبراطوري وهي بالأساس : "قانون إنشاء المستوطنات"، ليصبح سياسة ناجعة عرفت توسعاً كبيرا مع فجر الإمبراطورية، وستكون بلاد المغرب إحدى المناطق التي تستقطب عدداً من المستوطنين، باعتبارها مناطق إنتاج للحبوب التي كانت "روما" في حاجة ماسة إليها، خاصة مع السياسة التي تبنتها بتوزيع الحبوب بأسعار رمزية قبل أن تصبح مجانية في وقت لاحق، مما يتطلب كميات كبيرة كانت أراضي روما لا تنتجها،[1] فكان الحل بإيجاد مستوطنات وخلق قوانين تخفف على الفلاحين، لكنها قوانين ردتها الارستقراطية فكان مصيرها الفشل.[2] ومن المستوطنات التي ينسب تأسيسها لكايوس كراكوس مستوطنتي نبتونيا (neptunia) ومينيرفيا (minervia) بالقرب من اسكولاكبيوم (عند أصبع القدم الايطالية)، غير أن المشروع الأكثر جرأة الذي تم السعي لانجازه، هومحاولته تأسيس مستعمرة بجانب البحر في إفريقيا على أرض قرطاجة المدمرة منذ عام 146 ق م.[3]

2 - الدوافع الاجتماعية :

تفكير روما في توسيع نطاقها الحيوي بالاحتلال وتأسيس المستوطنات، كان نتيجة حتمية أوجدتها الكثافة السكانية، وكذلك الصراع الذي برز في مجلس الشيوخ الروماني بين طبقة المُحافظين (optimates) وطبقة العوام

---

[1] أندري (ايمار)، أبوايه (جانين)، تاريخ الحضارات العام، (روما إمبراطوريتها)، تر. فريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، المجلد الثاني، (1964).ص. 109.

[2] Lacroix(F), l'Afrique Ancienne, procèdes agricoles, Revue Africaine, 14 éme année, (1870), p.14.

[3] عبد اللطيف (أ. ع)، المرجع السابق، ص. 25.

(populares).[1] كما أن انحطاط المزارع الصغيرة في ايطاليا أدى بمالكيها لتركها والهجرة إلى المدن بحثا عن العمل والقوت، وبحثا عن ظروف حياة أفضل ما أدى إلى اكتظاظ العاصمة بالسكان.[2] والذي عقّد الأمر هو كثرة الجنود المسرحين وإحداثهم فوضى واضطرابات بين حين وآخر. ومن العوامل التي عمقت الحالة المأساوية للرومان في العهد الجمهوري، نجد تدفق الرقيق وحلوله محل الزراع الأحرار، خاصة أنهم كانوا يطالبون بحقوقهم من مكافآت مالية وتوزيع أراضي عليهم مقابل الخدمة.[3] ما أدى إلى انتشار البطالة واكتظاظ المدن بالعاطلين عن العمل، خاصة بعد هبات القمح المجاني الذي كانت توزعه روما قصد تجنب المشاكل، والنتيجة كانت استسلام الرومان للخمول على غير عادتهم واعتمادهم في العيش على حساب الدولة فكانوا عالة عليها ؛ بالإضافة إلى تفشي الفقر وتأزم الأوضاع لدى العبيد، وهذا الوضع أدى بهم إلى القيام بثورة كشفت عن الخطر الأمني والاقتصادي الذي هدّد كيان الجمهورية الرومانية آنذاك.[4]

إن مثل هذا الوضع البئيس هومن جعل السلطة الرومانية تسعى إلى التخلص من العناصر العاطلة عن العمل، وتوطينهم في المقاطعات تجنبا لأحداث الشغب ؛ التي كانت تتسبب فيها من حين لأخر. وإبعاد النازحين الايطاليين الذين أفلسوا من جراء الأزمة الاقتصادية استلزم على روما التفكير في التوسع الاستيطاني، وتوطينهم في المستعمرات التي أنشأتها خارج روما، وبذلك يتم التصدي لخطرهم، فيكونون قوة لها في المقاطعة.

3 - الدوافع السياسية والحضارية :

ونقصد هنا فساد الحياة السياسية، والصراع التشريعي الذي عاشته روما بين الارستقراطيين من جهة وطبقات الشعب وممثليهم من جهة أخرى،

---

[1] Le Bohec (Y), Histoire de l'Afrique romaine, éd. Picard, Paris, (2005), p. 40.

[2] الصفدي (هشام)، تاريخ الرومان، الجزء الأول، بيروت. (1967)، ص. 221.

❖ تعود فكرة توطين قدماء المحاربين في إفريقيا إلى عهد سكيبيوالذي وعد جنوده بأراضي في إفريقيا إذ ما انتصروا على قرطاجة، لكنه لم يعثر على ما يؤكد برّهُ بوعدهِ رغم الانتصار الروماني آنذاك. لكن الفكرة دخلت حيز التنفيذ في عهد نقيب العامة كايوس كراكوس (Gracchus Caius) في عام 123ق م. وفي عهد ماريوس سنة 105ق م الذي وبعد انتصاره على يوغرطة استصدر قانونا لصالح قدماء محاربي يوغرطة، نص على منح كل واحد من هؤلاء المحاربين إقطاعيات في إفريقيا أنظر : شارن (ش)، رحماني (ب)، بشاري (م. ح)، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. الجزائر، (2007)، ص. 95.

[3] ديورانت (ويل)، قصة الحضارة، المجلد الثالث. ص. 122.

[4] عبد اللطيف (أ. ع)، المرجع السابق، ص. ص. 13 - 14.

وهوما يعرف بلغة اليوم بالانسداد السياسي، وكل ذلك آل إلى اشتداد المنافسة في الانتخابات، ففسدت الحياة السياسية، وتدهورت الأخلاق، وانتشر بطش أصحاب السلطات، لتحقيق أهدافهم بشتى الوسائل، كما تفشّت ظاهرتي الرشوة، وشراء أصوات المواطنين.[1] وهذا الصراع المُحتدم كان غالبا ما ينتهي بالمكر والاغتيالات، والى استثمار العاطلين عن العمل، الذين كانوا مصدرا للشغب والاضطرابات كسلاح وكوقود فعال في الانتخابات التمثيلية وفي التطاحن الحزبي،[2] وذلك لسعي المسئولين الرومان إلى كسب تأييد المواطنين الرومان في الانتخابات لنيل المناصب العليا والمحافظة عليها شريطة توفير احتياجاتهم. وقد نتج عن هذا الوضع غير المُحتمل تواصل تذمر الشعب وثوران العبيد الذين كانوا يطالبون بحقوقهم من السادة الرومان ؛ ما عزَّز فكرة التوسع الاستيطاني لدى القادة بغية إيجاد حل للمشاكل التي أصبحوا يتخبطون فيها.

لمفاوضين إحساسا بأن الحل الوحيد الذي يضمن إصلاح الحياة السياسية، ويكفل الاستمرار لروما ؛ إنما هولفت نظر الجميع نحوبلدان ما وراء البحر. فزيادة عن كون ذلك يمنحهم ما افتقدوه في ايطاليا من رفاه، فسيحقق لهم رغبتهم في نشر قيّم الحضارة الرومانية في الولايات[3]، خاصة بعد القضاء على المنافس القرطاجي في الحوض الغربي الجنوبي للمتوسط.

ويلخص لاسير(Lassère) أسباب توسّع الرومان والهجرة إلى بلاد المغرب في عاملين هما :

العامل الجغرافي : وقد لعب دورا كبيرا بحكم أن الموقع الجغرافي لإفريقيا يبدوبالنسبة لروما أكثر تجانسا من أية بقعة أخرى من بقاع العالم القديم، فيظهر كما لوكان امتدادا طبيعيا لها، لا يفصلها عن شبه الجزيرة الايطالية سوى لُجة البحر المتوسط ؛ هذا يعني أن استئناس الوافدين به لن يدوم طويلا، بل قد يحدث بشكل مباشر مادامت لا تختلف عن جنوب ايطاليا من الناحيتين الايكولوجية والجيولوجية. وبالتالي توسعهم فيها سيتم بشكل متجانس أيضا. أضف إلى ذلك المناخ اللطيف المُشجع على الاستقرار ؛ فمناظر أشجار الزيتون وحقولها وحدائقها – يقول

---

[1] العبادي (مصطفى)، الإمبراطورية الرومانية، بيروت (1999)، ص. ص، 38 -39.؛ الصفدي (هشام)، المرجع السابق، ص. 198.

[2] عبد اللطيف (آ ع)، المرجع السابق، ص. 302.

[3] المرجع نفسه، ص. 304.

لاسير- لم تكن تختلف إلا قليلا عن نظيرتها في ايطاليا. ومن الامتيازات الجغرافية التي وفّرتها بلاد المغرب وإفريقيا بشكل عام نجد السهول الخصبة الغنية، والأراضي التي كانت واسعة عذراء وممتدة امتداد البصر. بالإضافة إلى أن إفريقيا القديمة كانت بلاد آبار لتوفرها على المياه الجوفية والوديان ؛ وبذلك أصبحت الهجرة فعلا مشجعة إلى شمال إفريقيا.[1] هذا العامل استثمرته روما في كل المجالات وفي مناسبات مختلفة، حتى أن بعض المؤرخين قد ذهبوا إلى أن جغرافية بلاد المغرب عملت على حماية القادة الرومان في الفترات العصيبة من خلافاتهم الداخلية، فكان المُعارضون السياسيون يلجأون إلى نوميديا دون غيرها من البلدان لحسم الأمور ؛ لجأ إليها ماريوس وأنصاره خلال الحرب الأهلية الأولى، ثم بومبيوس وأنصاره خلال الحرب الأهلية الثانية، فهذه البلاد لها الكثير من المحاسن، منها :

أولا : الطبيعة الجغرافية الجبلية لنوميديا كانت تساعدهم على خوض حرب العصابات.

ثانيا : وجود أنصار ماريوس من قدماء المحاربين الرومان في الجزء الشرقي لبلاد المغرب في المدن المجاورة لقرطاجة وفي السواحل النوميدية، فشكلوا رهانا حقيقيا سعى القادة المتصارعون إلى استمالتهم في الحروب الأهلية.

ثالثا : أن نوميديا كانت من أهم المصادر الغنية بالقمح والمُموّل الرئيسي لروما بالحبوب وكان اللجوء إليها يعني تجويع روما من جهة واكتساب مورد مضمون لتموين ثروتهم.[2] بمعنى أنها كانت بؤرة تهديد وورقة ابتزاز بأتمّ معنى الكلمة.

وبخصوص أسباب الحركة الاستيطانية الرومانية يشير "لاسير" إلى سبب آخر يُسميه بـ"العامل النفسي : حيث أن العديد من الأسباب أدّت إلى ظهور الحركة الاستيطانية والهجرة. يفسر لاسير فحوى هذا العامل معبرًا عن حال لسان المهاجرين : «يستطيع المستوطنون المجيء إلى إفريقيا بحثا عن أسباب عيش أحسن وأكثر وفرة. أومن أجل الهروب من انحطاط المجتمعات الريفية في شمال ايطاليا ؛ وبعضهم ربما قد لجأ إليها عن كُرهٍ، وآخرون ربما غذّتهم المغامرة،

---

[1] Lassère (J. M), UBIQUE POPULUS, peuplement et mouvement de population de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146av C-235 ap. C.), Paris. CNRS, (1977), p. 75.

[2] فرحاتي، (فتيحة)، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق.م 46 ق.م، منشورات إبيك، (2007)، ص. 184

وآخرون وجدوا في إفريقيا ما كانوا يأملون إيجاده في بلدهم ؛ وكثير من العائلات التي تنتمي للبرجوازية الحقيقية في المقاطعات التي أُسِسَّتْ حَلّتْ بإفريقيا عن طريق الأبعاد النفسية.»[1] أي غذَّاها النفور والهروب من الحالة المتدهورة. ويضيف أيضا : «وآخرون استقروا وبشكل رسمي، وبقرار من الدولة، ونقصد هنا قدماء المحاربين، الذين بعدما شكلوا تهديدا لروما، أصبحوا أداة لتحقيق الأهداف الاستيطانية. وبذلك كانت إفريقيا مقرا وأرضا للمُساومين والمفاوضين ورجال الأعمال والتجار ومن أصول متعددة، إذ وجدوا لأعمالهم أرضا واسعة وغنية».[2]

كل هذه المشاكل الناتجة عن تدهور شروط الحياة في النظام الجمهوري، هي من حرّكَتْ المشاريع الإصلاحية الرومانية، وجعلت روادها يفكرون في حلول تنهي المأساة على الأمدين القريب والبعيد، عن طريق التوسع والاستيطان. وطبعا بلاد المغرب هي من دفعت الضريبة بأن أصبحت مجالا لروما للتخلص من مشاكلها عن طريق السيطرة على أراضيها وتوطين الفائض من السكان الفقراء والعاطلين عن العمل، والجنود المسرحين فيها، ونستنتج من هنا أن حركة الاستيطان ما هي إلا مُتنفس لروما أراح صدرها من الجوالاجتماعي والسياسي الخانق، وكان ذلك على حساب الشعوب التي كانت أراضيها ميدانا لإقامة المستعمرات وتوطين الفائض من السكان.

II - المراحل الأولى للاستيطان الروماني في بلاد المغرب :

1 - حركة الاستيطان في عهد كايوس كراكوس. 123 ق. م :

لم تفتح روما أبواب الاستيطان في بلاد المغرب في وجه الفلاحين الرومان واللاتيين إلا بعد انقضاء ما يقرب ربع قرن من تدمير قرطاجة، حين قدّم ممثل العامة كايوس كراكوس سنة 123 ق.م مشروعا إصلاحيا زراعيا، إذ بعد مرور 23 سنة من تدمير قرطاجة، قرّر ممثل العامة (populares) كايوس كراكوس[3] عرض مشروع إنشاء مستعمرات لتكون مستقرا للفقراء، الذين أنهكهم الفقر ومسّهم البؤس، فيصبحون بذلك قوة للجمهورية عِوَضَ أن يكونوا خطرًا عليها.[4]

---

[1] Lassère (J. M), op, cit, p.77.
[2] Ibid. p.77.
[3] Pflaum (H. G), La romanisation de l'Afrique, scripta varia, édition, Africa. Romana, Paris, (1978), p. 377
[4] الصفدي (هـ)، المرجع السابق، ص.221.

وبعدما تمكن من إقناع مجلس الشيوخ الروماني بإنشاء مستعمرة «يونونيا قرطاجو»[1]، شرع في العمل لتحقيق ذلك مُستندا إلى قانون روبريوس (Lex Robrius)، الذي صدّر آنذاك، بهدف امتصاص الفائض من سكان العاصمة العاطلين عن العمل، والذين كانوا يُرهقون خزانة الدولة، وأوكل مهمة تنفيذ القانون لأعضاء اللجنة الثلاثية عام 123 ق م، وكان إلى جانب كايوس كراكوس كل من فلافيوس فلاكوس (Flavius Flacus)، وبابيريوس كاربو(C. Papirus Carbo) اللذين أظهرا ترحيبا بمشروع الاستيطان[2].

وهكذا تعرضت مقاطعة إفريقيا في ذلك العام لمحاولة جادة من جانب الرومان لإنشاء مستعمرة على أرض قرطاجة، التي هُدمت من قبل. ورغم أن الأرض أعلنت أرضاً ملعونة بعد تدميرها من طرف سكيبيوايمليانوس سنة 146 ق.م، غير أن مشروع كايوس كراكوس كان يهدف إلى إنشاء مستعمرة على هذه الأرض باسم يونونيا كارتاغو"carthago Junonia" [3]، وإرسال ستة آلاف معمر، وتكون تلك المحاولة أول محاولة استيطانية رومانية في «مقاطعة إفريقيا»، وقد تمّ بناء هذه المستوطنة غير بعيد عن موقع قرطاجة سنة 122 ق.م.[4] أما عن توزيع المستوطنين الوافدين في أرجاء هذه البلاد، فقد ذهب بعض المؤرخين أمثال بارثل Barthel الى أن المنطقة التي كانت مفتوحة للاستيطان، ربما امتدت الى غاية الخندق الملكي (fossa Regia) جنوب مجردة (Bagarades). كما ذهب ر. شوفالي (R. Chevalier) الى أنه ليس من الممكن تثبيت كل الوافدين قرب قرطاجة، لذا تم تفريقهم، وتوزيعهم على عدد من القلاع ؛ بحكم استحالة منح المقدار المعلن من الأراضي (50 هكتارا للمستفيد الواحد) في منطقة واحدة، الا اذا كانت الحصص الممنوحة لهم غير متساوية.[5]

ورغم ذلك فالمستوطنة ألغيت في السنة الموالية (121 ق.م) بعد مقتل كايوس كراكوس بموجب قانون ممثل العامة مينوكيوس روفوس (RexMinicius).[6]

---

[1] شنيتي (م. ب)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب...،ص. 117.

[2] عبد اللطيف(أ. ع) المرجع السابق، ص. 25. ؛ شنيتي (م. ب)، المرجع السابق، ص. 25.

[3] Mesnage (J), La romanisation de l'Afrique du nord (Tunisie Algérie Maroc), Paris,(1913), p.35 ; Albertini (E), l'Afrique romaine, Alger, (1938), p.96 ; Meynier (G), L'Algérie des origines de préhistoire à l'événement de l'islam, éd. Barzakh,

[4] Alger, (2007), p.53 ; Lassère (J.M), op, cit, p. 104-31Gascou (J), op. cit. p.16

[5] Ibid. p. p. 107- 108.

[6] أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 2007.ج7، ص. 60.

2 - حركة الاستيطان في عهد ماريوس (Caius Marius). 105 ق. م :

لم تتجدد حركة الاستيطان إلا مع ماريوس حيث سعى إلى بلوغ الهدف الذي سعى إليه "ابني كراكوس" بفتح أبواب التوسع الاستيطاني لبلوغ الهدف ولوبالقوة، وذلك استجابة للظروف والمستجدات التي برّزت على الساحة السياسية والعسكرية التنظيمية. ونقصد هنا حال الجهاز العسكري الروماني، حيث أصبح الجنود في عهد ماريوس موظفون يخدمون في الجيش لفترات طويلة ويتقاضون أجورا ورواتب، وبعد تسريحهم استلزم على السلطات الرومانية منحهم أراضي لكي يستقروا فيها ؛ إذ من البديهي جدا وبعد انتهاء فترة خدمتهم المطالبة بحقهم في الحصول على مأوى يلجأون إليه وأرض يستغلونها، خاصة أن معظمهم لم تكن لهم بيوت يأوون إليها. فتوجست الحكومة من هذا الأمر خوفا منهم. فقام ماريوس بالعمل على توزيع أراض على جنوده، كما اقتراح نقيب العامة لوكيوس أبولييوس ساتورنيوس، قانوناً يتم بموجبه توزيع مائة (100) يوجيرة لكل جندي من جنود ماريوس القدامى وبعض الجيتوليين الذين ساندوه. كما تم إنشاء مستوطنات لقدامى المحاربين سنة 102ق.م تحت إسم (Mariana Colonia Augusta Alexandria Lichitanorum (Majurum، وتمثلت أساسا في : مستعمرة تيباريس (Thibaris) وتوبورنيكا (سيدي علي بلقاسم - Thuburnicae). بالإضافة إلى هذه نجد مستعمرة على حوض مجردة (Bagradas)، الذي يُعد مسلكا طبيعيا يربط قرطاجة بالمناطق النوميدية، وكذلك مستعمرة هنشير الدوامس (Uchi Maius).[1] والى الجنوب من هذه المستعمرات الماريوسية الثلاث وُجدت مستعمرة موستي (Musti) قرب كريب (Krib)، حيث منح ماريوس جنوده المسرحين إقطاعيات في المنطقة الممتدة على طول الخندق الملكي ما بين مدينتي أشولا وثيناي (هنشير طينة) بغرض الاستيطان.

وهناك من المراجع من ترى أن هذا الاستيطان كان خارج الحدود المرسومة منذ عام 146ق م للمقاطعة الافريقية، وهذا وفقا لقانون أبوليا (Lex Appuleia coloniae)، والذي كان يقضي بإنشاء مستعمرات في صيقلية

---

[1] Lassère (J M), op.cit. p 117 ; Pflaum (H.G) op. cit. p 377 ; Fevrier (P.A). Approches du Maghreb romaine, différences et conflit.1 Edi. Sud, Aix en Provence. (1939), p. 97.

شارن (ش)، رحماني(ب)، بشاري(م ح) المرجع السابق، ص. 167 ؛ فرحاتي (ف)، المرجع السابق، ص. 168

ومقدونيا وجزيرة قرقنة (Cercina)[1]، مع منح حقوق المواطنة الرومانية لبعض أعضاء كل مستعمرة. ومما زاد من حدة الاحتلال هومجيء التجار ورجال الأعمال من المقاطعة الافريقية وأيضا من قيرطا ؛ التي ضمّت حسب المؤرخين تعدادا وافرا من الجالية الايطالية، وكانت هي من تولّت مهمة الدفاع عن المدينة.[2] أما عن أصول المعمرين الماريوسين فالقوائم الاسمية التي عثر عليها تمدنا بمقاربة دقيقة حول الاستيطان في عهد ماريوس، يقول لاسير : «في توبورنيكا نلاحظ حضور مواطنين مُسجلين ضمن اثنا عشر قبيلة مختلفة، وهوما يطرح مشكلة حول أصولهم. والقبائل الممثلة هنا هي : أميليا (Aemilia)، أرننسيس (Arnensis)، كاميليا (Camilia)، كولينا (Collina) كورنيليا (Cornelia)، فابيا (fabia)، هوراتيا (Horatia)، ليمونيا (Lemonia)، بلاتينا (Palatina)، بوليا (Pollia)، كيرينا (Quirina)، وأخيرا ستيلاتينا (Stellatina).». ويلاحظ هنا تعدد أصول القبائل في مدينة واحدة، وهوربما دليل على أن سكان توبورنيكا قد حصلوا على حق المواطنة الرومانية ليس في إفريقيا، بل في ايطاليا، وهؤلاء إذن ليسوا سوى مُحاربين قدماء توافدوا مع نسلهم.[3] أما "مستعمرة موستي" فقد ضمّت هي الأخرى أعدادا من موفدي ماريوس، بعضا منهم تم إلحاقهم بقبيلة كورنيليا وبالتحديد من أربينيوم Arpinum وهي بلدة من بلاد الفولسكي في حوض نهر ليريس (Liris) جنوب شرق روما ؛ وهي مسقط رأس ماريوس. كما وُجدت أسماء لأفراد قبيلة أصلية هي "أورفي" (Orfii)، بالإضافة إلى قبيلة "الأوي" (Ouii) الموستية، وهي حسب نص لاسير تعود إلى الأوي من أربينيوم (Ouii d'Arpinium) وهي مدينة من مدن قبيلة كورنيليا في ايطاليا، انجروا إلى إفريقيا طمعا في الامتيازات التي وضعها ماريوس في خدمتهم. دون أن ننسى أفراداً عديدين ينحدرون من قبائل أخرى، شكلت أصول مستوطني ماريوس كقبائل : الكلودي (Clodii) والأُوورْسِي (Eurcii) والغراني (Granii) واللوكيلي (Lucilii) والسالوستي (Sallustii)..الخ.

---

[1] نزول المستوطنين بهذه الجزيرة هومحل جدل بين المؤرخين فـ "توني فرانك" أكّد أنها كانت محل إنزال للمستوطنين اعتمادا على تأويله لبعض التسجيلات التي سجلها أب يوليوس قيصر في روما؛ ومقابل هذا الطرح ذهب المؤرخ الألماني لـ. توتش (L. Teutsch) : أنه لم يتوافد إليها أي مستوطن بالنظر إلى فقرها طبيعيا، فأرضها الصخرية والرملية لا تشجع على ذلك، أضف إليها الرياح الملحية الحارقة وانعدام المنابع. للمزيد راجع :
Lassère (J M), UBIQUE POPULUS, p. 118.

[2] فرحاتي (ف)، المرجع السابق، ص. 150-168

[3] Lassère (J. M), UBIQUE POPULUS. p.120

وما دمنا في صدد الإشارة إلى الوافدين والى المستعمرات والمناطق التي وفدوا إليها، نوَّدُ أن نشير بالمناسبة إلى المناطق التي مُنحت للجيتول الذين خدموا ماريوس، فقد أشرنا إلى أن ماريوس قد منح لهم حق المواطنة، لكنهم بقوا في نظر الرومان نصف مُرومنين، وقد ذهب بعض المؤرخين - أمثال قزال - إلى أن الأراضي التي مُنحت لهم كانت ربما خارج المقاطعة على حواف تيباريس (Thibaris) وأوشي الكبرى (Uchi Maius) في منطقة توقة. وربما ثُبتوا - حسب ش. صومان (Ch Saumagne) الذي يستشهد به لاسير- في منطقة أغّار(Aggar) بالقرب من السيرت، حيث عانى هؤلاء من تبعات استهتارهم ولا مبالاتهم.

نشير عموما إلى أنه رغم بقاء حملة ماريوس في الظّل لفترات زمنية طويلة نتيجة نقص النقوش الخاصة بعهده، إلا أنها تُعد من الحملات الأكثر بروزا في العهد الجمهوري، ونجاحها يجب أن يقارن بمحاولات سابقيه من الكراك (الأخوين كراكوس) التي لم يكتب لها النجاح لأسباب موضوعية واضحة. كذلك يجب أن يحدّد بقيمة الأشواط التي قطعها، والنتائج التي تُوجت بها في التخلص من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها روما بنقل فائض السكان، خاصة قدماء المحاربين إلى أراضي بلاد المغرب. كما مهدت أيضا للحملات اللاحقة التي عمقت سهم التوغل الروماني في جسد بلاد المغرب القديم. أما ما يتعلق بموفديه من المستوطنين الأوائل فقد مثَّلوا - في اعتقادنا - لبنة ذات أهمية قصوى لكل المشاريع الاستيطانية التي سيشهدها بلاد المغرب عند استئناف الحركة الاستيطانية من قبل يوليوس قيصر، ومن قبل الأباطرة الذين سيجعلون من سياسة الاستيطان مسألة محورية في فترة حكمهم الممتدة طيلة ثلاثة قرون كاملة. ونقول لبنة ذات أهمية من حيث كونهم شكلوا موضع قدم للرومان فيها، وسوف تُغذي سياسة روما بالمورد البشري الفعال، وتوفر لهم القادة والجند والمسيرين الإداريين.

3 - حركة الاستيطان في عهد يوليوس قيصر (Caésar) 44 - 49. ق. م :

معروف عن الدولة الرومانية البطء والتدرج في التوسع، وقد تجلى ذلك في إفريقيا، فبعد احتلال قرطاجة عام 146 ق.م كان يجب الانتظار مئة سنة لتنظيم حملة رسمية على قيرطا (.Cirta)[1] وقد تم اعتماد التدرج في ذلك، ففتحت أبواب

[1] Salama (P), Les Voies romaine de L'Afrique du nord. Alger, (1951). p. 21 ; Albertini (E), l'Afrique romaine, p.15.

نوميديا للتجار الرومان، بغرض ربط اقتصادها بالاقتصاد الروماني والسيطرة عليه، بالإضافة الى غرس الجاليات الرومانية في المدن النوميدية لتعمل على تمهيد وتهيئة المناخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لما ستتخذه روما من خطوات لصالح الاستيطان فيما بعد. وفي زمن قيصر دارت حرب أهلية بين هذا الأخير وبومبيوس (Pompé) انتهت بانتصار قيصر في معركة ثابسوس، وما يميز هذه الحرب هواستمالة كل طرف للملوك المحليين، حيث شارك بوغود وبوخوس الثاني والجيتولين الماريوسين الى جانب قيصر، وساند يوبا بومبيوس ؛ وهوما جعل يوبا ومملكته (نوميديا)يدفعان ثمن هزيمة بومبيوس، بأن:

أولا : تم إلغاء مملكة نوميديا والحاقها نهائيا بروما، وهذا بمثابة احداث تغيير على الخريطة الإدارية لبلاد المغرب، إذ أدى التقسيم الجديد الذي أحدثه قيصر الى خلق مقاطعة افريقيا الجديدة (Africa Nova). وهوما سمح بمد المملكة القديمة التي أصبحت ضيقة لتستجيب لأهداف الرومان الجديدة. كما أنه عالج المشاكل المطروحة في ما يُعرف بالطوق الذي ظلّت عليه مستعمرات ماريوس، لأنها منذ لحظة انتصار قيصر ستصبح في وضعية قانونية عادية. والنقطة الأهم أنها منحت لقيصر صفة الوريث لأرض ماسينيسا الواسعة.[1] وهذا كله يعني مصير سيئ لنوميديا وموريطانيا معا.

ثانيا : هواستيلاء سيتيوس على مساحات واسعة من أراضي مملكة يوبا الأول، بما فيها قيرطا والمناطق الممتدة شمالا إلى غاية البحر، أي نوميديا الشمالية. ومَنْحُ هذه المساحات لهذا الأخير لم يكن دينا أجزاهُ قيصر لسيتيوس فحسب، بل كان خيارًا ذوأهمية استراتيجية وسياسية في الوقت نفسه، ونعني هنا أنه ضمن حراسة المقاطعتين الواقعتين وراءه. فدشَّن قيصر بذلك عهدا جديدا لسياسة متناغمة بخصوص المحليين كمقدمة لمنح حق المواطنة لعدد منهم، والإسراع في منح "مقام بلدية" لأربع مدن هي : قيرطا (cirta)، القل (كولو-Chullu)، سكيكدة (روسيكاد -Rusicade) وميلة (ميليف-Milev).[2] ومثلما كافأ قيصر سيتيوس، فقد منح لملك موريطانيا بوخوس الثاني الجزء الغربي من هذه المملكة[3]، وذلك جزاء ما قدمه لقيصر من مساعدات في حربه

---

[1] Bénabou (M), la résistance africaine à la romanisation, librairie François Maspero, Paris, (1976) , p.39.

[2] Ibid. p. 40.

[3] Février (P. A), Approches du Maghreb romaine... p. 99.

ضد بومبيوس، فتوسعت المملكة الموريطانية جراء ذلك حتى واد الأمبساغا، أي حتى الواد الكبير شرقا.[1]

يعد هذا الإجراء، أي إسناد قيرطا لسيتيوس، أضخم مشروع استيطاني تم تنفيذه بنجاح من طرف قيصر[2]، وكان حسب قزال وسيلة لإبعاد مملكة موريطانيا من الجوار المباشر للمقاطعة التي أُحْدِثَتْ في نوميديا الشرقية، ففضّل قيصر الوثوق بالمغامر الايطالي (نقصد سيتيوس) بدل الوثوق في أمير إفريقي، فالأمان في نظر " قيصر" يُلتمّسُ عند سيتيوس الروماني ويُستبّعدُ عند بوخوس الملك المحلي ؛ وما يبرّر خيار قيصر هذا، إنما إدراكه أن أنصار سيتيوس هم أنسب قوة بشرية تستطيع أن تستوطن تلك المنطقة بالنظر إلى رغبتهم في الاستقرار.[3] وبذلك استقر سيتيوس ورفاقه في قيرطا وأقاموا فيها إمارة سُميت باسمهم حسب ما ذكره "بلين القديم" عُرفت باسم مستعمرة قيرطا(sittianorum colonia cirta.)[4]، لكن حكم سيتيوس لم يدم طويلا حيث قتل سنة 44 ق.م من طرف الزعيم النوميدي أرابيو(Arabio)، ومع ذلك فقد ترك بصمته في المدينة وفي الأراضي التابعة لها من خلال رفاقه الذين كانوا مجندين تحت لوائه أثناء الحرب، وهم ذوي أصول مختلفة منهم ايطاليين، إسبانيين وموريطانيين ونوميديين...وقد منح لهؤلاء الجنود حق المواطنة الرومانية وفضّل الكثير منهم اتخاذ اسم سيتيوس لقبا رسميا[5] كما تدل عليه الكتابات الكثيرة.[6] وأخذ النشاط العسكري لأولئك المرتزقة يتزايد للاستيلاء على الأراضي الزراعية المجاورة لقيرطا وراحوا يؤسّسون فيها مستعمرات زراعية

---

[1] Albertini (Eu), L'Afrique romaine. p17 ; Kaddache (M), L'Algérie dans L'antiquité, S.N.E.D. Alger, (1982), p. 100 ; Salama (P), les voies romaines…. p.23.

[2] Appien, les Guerre civiles, II, 54.

[3] قزال (ص) المرجع السابق ج. 8، ص. 138.

[4] Pline L'ancien, Histoire naturelle. texte établie, traduit et commenté par Jehan Desange, édition les Belles lettres, Paris, (1980) V, III. 22.

[5] لقد كانت تربط سيتيوس علاقة تجارية جديرة مع ملك موريطانيا، كما كان بفضل أسطوله يعتبر القوة الرئيسية لروما ولذلك مُنح نوميديا. وكثيرٌ من جنود سيتيوس يحمل اسم أيولي (Iullii)، كلودي (Clludii)، فلافي (flavii) وظلّوا منذ ذلك الحين في إفريقيا قرابة 3 قرون. أنظر شارن (ش)، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول)، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2001، ص.43.

[6] Lassère (JM), «Remarques sur peuplement de la Colonia Iulia Numidica Sinithius», Ant. Afr, tome.16, (1980), p. 35.;.101. مهنتل (جهيدة)، حاضرة قسنطينة، منشورات، دار الهدى، الجزائر (2011). ص

نموذجية[1]، وذلك بمساعدة الجاليات الرومانية واللاتينية، التي أقامت هناك منذ عهد بعيد، سابق على قيام المستوطنات الرومانية في المنطقة، وهذه الإمارة - حسب مسناج - شكلت قوة رومانية مؤثرة في إفريقيا.[2]

هكذا يكون رفقاء سيتيوس قد مهدوا لمرحلة الاستيطان الواسعة النطاق، التي نشطت في نوميديا وموريطانيا فيما بعد، خاصة في عهد أوكتافيوس أوغسطس.[3] اذ بعدما كان مجلس الشيوخ الروماني بمثابة صخرة صماء، يعارض فكرة الاستيطان في عهد كايوس كراكوس، نجده قد تحول ليشجع الفكرة مع يوليوس قيصر الذي سيُحقق نجاحا كبيرا للحركة الاستيطانية،[4]لأن قيصر كانت له منزلته السياسية وقوته في دعمها.[5] وتميز نهجه بالخروج عن طابع التحفظ الذي تميّز به مجلس الشيوخ تجاه الاستيطان، وبدأوا يسعون بدورهم إلى نيل نصيبهم من أراضي إفريقيا القديمة، وقد تمكنوا من الحصول على مساحات واسعة لتصبح ملكا للأرستقراطية السيناتورية، فكانت - حسب كوتولا وميشالاك - بمثابة التشكل الجنيني الأول للضيّع الكبرى Latifundia في الجزء الشرقي لبلاد المغرب.[6]

قام قيصر بنقل فائض السكان إلى المستعمرات الواقعة فيما وراء البحار منها إفريقيا، إذ تذكر المصادر أنه أرسل ثمانون ألف مُعمر لمختلف المستعمرات التي أسّسها، وقام بإسكان جنوده المسرحين فيها، وحلَّ مشاكل الفقراء والفلاحين العاطلين بأن أمّن لهم العمل والمأوى.[7] ويشير قزال إلى أن قيصر قبل مغادرته إفريقيا للعودة إلى روما، سرّح أكبر الجنود سنا حتى لا يخشى من جانبهم ثورة جديدة، وأسْكَنَ قسما من هؤلاء المحاربين القدماء بالمقاطعة.[8] ووزّعَ عليهم مساحات زراعية هامة، وأخذت جموع المزارعين الرومان تتوافد على نوميديا

---

[1] شنيتي (م. ب)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب...، ص.65.

[2] Mesnage (P.J), op, cit, p.38.

[3] Gsell (St), Les monuments antiques de l'Algérie, Paris. Ancienne librairie Thorin et fils Abert fontemoing, (1901).T1. p. 575

[4] Gascou (J), op. cit, p. p.19-20.

[5] شنيتي (م. ب)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب...، ص.129.

[6] Kotula (T) et Michalak (M), les Africains et la domination de Rome. In : Dialogues d'histoire ancienne, vol. 2, (1976). p. 341.

[7] Kotula (T) et Michalak (M), les Africains et la domination de Rome. In : Dialogues d'histoire ancienne, vol. 2, (1976). p. 341.

[8] قزال (ص)، المرجع السابق، ج.8، ص.151.

قصد الاستفادة من سياسة الاستيطان التي شرع فيها. وبالتالي تخلّص قيصر من العاطلين عن العمل الذين كانت مدينة روما تكتظ بهم منذ زمن، وقصده بذلك سد الطريق أمام إمكانية قيام ثورة أوتمرد بين جنوده.[1] كما فرض غرامات كبيرة على المدن الإفريقية** بعد معركة ثابسوس ليواجه الأعباء المالية المتزايدة، واستغل جانبا من الأراضي المصادرة في إفريقيا لدعم الخزانة بالمال الناتج عن بيعها.[2]

ويمكننا القول أن سياسة قيصر قد بعثت، "الحركة الاستيطانية" التي بادر بها "كايوس كراكوس"، حيث لم تَعُدْ مُجرد مشاريع تُقترح من طرف نواب العامة المغلوبين، واكتّست طابعا رسميا مع قيصر، وتجلى أيضا هذا التحدي بعد أن كسر قيصر الهاجس الخرافي الذي رُسم باعتبار أرض قرطاجة "أرضاً ملعونة".

تبقى المسألة الأكثر أهمية هنا، ونعني بها تحديد أهم المستوطنات التي أنشأها قيصر، وتشخيص أهم التنزيلات التي توافدت عليها، فالعديد من المؤرخين ذهبوا إلى أن مستعمرات قيصر كانت عديدة من دون التأكد إنْ كانت فعلا المستوطنات قيصرية كاملة المقام في عهده، أم أنها ترقّت إلى ذلك مع أوكتافيوس أوغسطس. وبخصوص هذا الإشكال نشير إلى صعوبة تحديد هوية هذه المستوطنات التي تحمل لقب اليولياني (Julia) ذلك أن عدة المستوطنات أُنشئت في عهدي قيصر وأوغسطس تتدرج تحت الاسم السابق.

وقد بلغ عدد المستوطنات التي أنشأت في عهد قيصر وأوكتافيوس أوغسطس والحاملة لاسمه (Colonia Julia) نسبة لمؤسسها قيصر[3]، ما لا يقل عن 12 مستعمرة نذكر منها :

1- مستعمرة قرطاجة ..... Colonia Julia carthago
2- مستعمرة زنفور ..... Colonia Julia Assuras

---

[1] شنيتي (م.ب)، التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثاني، معهد التاريخ، الجزائر، (1986).ص. 11 ؛ الصفدي (هشام)، المرجع السابق، ص. 302.

** تذكر بعض المصادر والمراجع أنه بعد هذا الانتصار فرض قيصر ضريبة سنوية على العديد من المدن تكفيرا لها عن عدائها لقيصر، فلبدة فرض علها دفع ثلاثة ملايين رطل من الزيت، وسوسة (Hadrumete) خرجت مثقلة بغرامة مالية قدرها ثلاث ملايين سيسترس، كما ألزمت تابسوس بمليوني سيسترس وثوزدروس (الجم) ألزمت بدفع كمية من القمح. راجع مقال الدكتور : بشاري (م. ح)، علاقة روما بالممالك الإفريقية بعد زوال قرطاجة، ص. ص.57 -58.

[2] عبد اللطيف (أ.ع)، المرجع السابق، ص. 312.

[3] Gascou (J), op cit, p. 23.

3- مستعمرة الكاف..... Colonia Julia sicca Veneria

4- مستعمرة شمتو ..... Colonia Julia Simithu

5- مستعمرة وذنة ..... Colonia Julia Uthina

6- مستعمرة هيبودرياتوس(بنزرت)..... Colonia Julia Hipo Diarrhytus

7- مستعمرة منزل القورشي ..... Colonia Julia Thub.

8- مستعمرة رادس..... Colonia Julia Maxul

وبعض هذه المستعمرات قلنا يعود الفضل في تأسيسها إلى أوكتافيوس منها قرطاجة.[1]

وبخصوص الوافدين في زمن قيصر ورغم تعقد المسألة، فقد أفادنا "لاسير" في تحليله للقوائم الاسمية الخاصة بهم بالعديد من التحليلات القيّمة، وبعد عزل موفدي ماريوس السابقين، والذين نزلوا بها في عهد أوكتافيوس أوغسطس. درس أسماء مستوطني توبورنيكا، فأشار إلى تعددهم بتعدد القبائل، مع تأكيد حضور أوفر لأفراد قبيلة "كيرينا"، التي تواجدت منذ عهد ماريوس، لكن أغلبهم كانوا جنودا من الفرقة الرابعة، مثلما وُجد أفراد من الفرقة السابعة. أما أوشي مايوس(Uchi Majus) ، فقد توافد إليها العديد من الأفراد كانوا مُحتمين في القلاع المحصنة، ولم يتم تسجيل أسماء من قبيلة كيرينا. وبشكل عام، فعدد معتبر من الأسماء يمكن أن يُفّسر وجودها بالهجرة الايطالية، مع التأكيد على صعوبة التأريخ لها.[2]

أما موستي (Musti) فقد تأكّد وجود بلدية (municipe) قيصرية أصيلة بها، وهذا يُظهر أن قيصر قد وسّع قوائم الألقاب الخاصة بماريوس بقائمة تحمل اسمه، وأحسن دليل هوحضور لقب ك. يوليي (C. Iullii) لدى أفراد قبيلة كورنيليا، وبالمقابل نجد أن الاستيطان القيصري الذي أكّدهُ توتش (Teutsch) في منطقة تونوسيدنس لم يتأكد بأدلة مُسجلة، كون هذه المنطقة لم تمنح الباحثين سوى نصبين مُخلدين، وطرح توتش حسب - لاسير - اعتمد على شاهد قبر épitaphe يخص أحد فرسان ميدرة (Ammaedara) الملقب بـ : ك جيمينيوس (Q. Geminius) من بوليا (Pollia) التونيسيدية، وهذه الضيعة معروفة من حيث أن "بلين" قد أشار إليها تحت اسم أوبيدوم تونيسيدنس (oppidum C. R. Thunusidense) ونقش ميدرة هوالوحيد الذي يُبرهن على وجود هذه القبيلة

[1] شنيتي (م. ب)، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب...، ص.131.

[2] Lassère (J M), UBIQUE POPULUS , p. p. 156 - 157.

المشار إليها في تونيسيدس، ولكنه رغم ذلك لا يفيد في معرفة متى حصلت على حق المستعمرة الرومانية.[1]

وبخصوص ثوزدروس (الجم) التي تحظى بأهمية اقتصادية قصوى كونها تمثل أكبر أسواق الحبوب وأفضل المناطق المدرّة للزيت في إفريقيا القديمة، فيمكن اعتبار توسعات قبيلة غاليريا (Galeria) دليل بقاء قدماء الجند التابعين لقيصر فيها، لكن النقائش القليلة التي تُوفّرُها المنطقة بخصوص هذا العهد تحيل إلى أن المستوطنين القيصرين يحوزون على مكانة جد متواضعة فيها. ودائما حول قبيلة غاليريا، فقد ثَبُتَ وجودها من خلال ثلاثة نصوص أحدها يخص أحد المحاربين. أما كلوبيا (Clupea) وكوربي (Curbis)، فالأولى وُجدت بها وثيقة وحيدة، ولكنها دقيقة تخص سيرة أحد المعتوقين الملقب بـ : م. كاييلوس فيليروس (M. Caeluis Phileros) الذي كان تحت إمرة الحاكم ت. سيكستوس (T. Sextius) الذي سيّر الحكم الثنائي duumvirat لكلوبيا مرتين، علما أن قوائم الألقاب لم تتوفر لتؤكّد ذلك. أما في كوربيس، فتوجد قوائم تظّم ألقابا لسادة رومان يعودون إلى فترة التنزيلات القيصرية، وقد أشار لاسير إليها بشيء من التفصيل.[2]

تبقى قرطاجة التي تشكل رمزا ذا خصوصية بالنسبة لقيصر، من حيث أنها المدينة التي دُمرت ووصفت بالملعونة، وقيصر رفع عنها الشؤم ؛ فبشأنها يرى لاسير أن الاستيطان العسكري فيها لا تثبته النقائش، أضف إليها أن التنزيلات الاستيطانية الخاصة بقيصر قد اختلطت مع وافدي أوغسطس، لذا يصعب التمييز بين قوائم الألقاب القيصرية ونظيرتها الأوغسطية. كما أن تفحص شواهد القبور لتحديد تاريخ وفاة أصحابها، لم يُظهر إلا قائمة بسيطة من أسماء الأشخاص gentilicia الذين يمكن الجزم بكونهم من قدماء الجند القيصرين. وانتهى إلى نتيجة مفادها أن كل الأسماء التي ظهرت في القائمة الخاصة بقرطاجة لعام 44 ق م، كانت من أصول ايطالية، ولا يظهر أي حضور للأفارقة المرومنين، وهوما خالف التوقعات.[3]

أما حول مصير هذه المستعمرات التي أسّسها قيصر في إفريقيا، فقد عرفنا أن سياسة الاستيطان قد توقفت بصورة نسبية بعد مصرع قيصر، واستمر الوضع كذلك طيلة الفترة الفاصلة بين زوال حكمه وتولي

---

[1] Ibid. p. p. 158 - 159.
[2] Ibid. p. p. 161 - 163.
[3] Ibid. 163 - 164.

أوكتافيوس أوغسطس الحكم عام 29 ق. م. اذ انشغل هذا الأخير بالحرب الأهلية، مما أفرغ المستعمرات من معمريها الذين غادروا بدورهم للمشاركة الى جانب أوغسطس في هذا الصراع، ولم يستأنف الاستيطان الا بعد مضي 15 سنة بعد أن استتب الأمر لأغسطس. وهكذا نلاحظ أن الظروف السياسية والاجتماعية السيئة في ايطاليا هي العامل المحفز لإقامة المستعمرات لتكون بمثابة مجال حيوي ومتنفس للرومان، وأن الاستقرار السياسي يعد بالمقابل شرطا أساسيا للحفاظ عليها ودعمها.

بيبليوغرافيا:

1- أندري (ايمار)، أبوايه (جانين)، **تاريخ الحضارات العام، (روما إمبراطوريتها)**، تر. فريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، المجلد الثاني، (1964).

2- أيوب (إ. رزق الله)، **التاريخ الروماني**، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ط. 1، (1996).

3- بشاري (محمد الحبيب)، **دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146ق.م. و285ق.م.**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2007/2006.

4- جوليان (شارل أندري)، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ترجمة، محمد مزالي وبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، (1969).

5- ديورانت (ويل)، **قصة الحضارة**، المجلد الثالث، ترجمة،محمد بدران، الطبعة الثانية، القاهرة، (1964).

6- شارن شافية، **النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني (العهد الإمبراطوري الأول)**، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2001.

7- شارن (ش)، رحماني (ب)، بشاري (م. ح)، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (2007).

8- شنيتي (محمد البشير)، التوسع الزراعي الروماني وظاهرة البداوة في الجزائر القديمة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثاني، معهد التاريخ، الجزائر، (1986).

- **الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا 146 ق.م – 40 م)**، الجزائر، 1984.

9- الصفدي (هشام)، **تاريخ الرومان**، الجزء الأول، بيروت. (1967).

10- العبادي (مصطفى)، **الإمبراطورية الرومانية**، بيروت (1999).

11- عبد اللطيف (أ.ع)، **التاريخ الروماني، عصر الثورة (من تيبريوس كراكوس إلى أوكتافيوس أغسطس)**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973.

12- فرحاتي (فتيحة)، **نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق.م- 46ق.م**، منشورات إبيك، (2007).

13- قزال (اصطيفان)، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 2007، جـ. 7.

14-مهنتل (جهيدة)، حاضرة قسنطينة، منشورات، دار الهدى، الجزائر (2011).

1 -Albertini) E ,(.l'Afrique romaine ,Alger, (1938.(
2 -Appien, **Histoire des Guerres Civiles de la république romaine**, I, 13, Trad. J. Combes –Douvous, (1808).
3- Appien, **les Guerre civiles**, II, 54.
4- Bénabou (M.), **La résistance africaine à la romanisation**, librairie François Maspero, Paris, (1976).
5- Fevrier (P. A.). Approches du Maghreb romaine, différences et conflit, 1, Edi. Sud, Aix en Provence. (1939).
6- Gascou (J), la politique municipale de l'empire romaine en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime – Sévère, Rome, (1972).
7-Gsell (St), Les **monuments antiques de l'Algérie**, Paris, Ancienne librairie Thorin et fils Abert fontemoing, (1901).T1.
8-Kaddache (M), **L'Algérie dans L'antiquité**, S.N.E.D., Alger, (1982).
9-Kotula (T) et Michalak (M), **les Africains et la domination de Rome**, In Dialogues d'histoire ancienne, vol. 2, (1976).
10-Lacroix (F.), **L'Afrique Ancienne, procèdes agricoles**, Revue Africaine, 14 éme année, (1870).
11- Lacroix (F), "**l'Afrique Ancienne**", in Revue africaine, volume 13, (1869).
12- Lassère (J.M.), **«Remarques sur peuplement de la Colonia Iulia Numidica Sinithius»,** Ant. Afr, Tome 16, (1980).
13-Lassère (J. M), **UBIQUE POPULUS, peuplement et mouvement de population de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146av C-235 ap. C.)**, Paris, CNRS, (1977).
14- Le Bohec (Y.), **Histoire de l'Afrique romaine**, éd. Picard, Paris, (2005).
15- Mesnage (J), **La romanisation de l'Afrique du nord (Tunisie Algérie Maroc),** Paris, (1913).
16-Meynier (G), **L'Algérie des origines de préhistoire à l'événement de l'islam**, éd. Barzakh, Alger, (2007).
17- Peganiol (A), Histoire de Rome, Paris, (1949).
18- Pflaum (H. G), **La romanisation de l'Afrique, scripta varia**, édition, Africa. Romana, Paris, (1978).
19- Pline L'ancien, **Histoire naturelle**. texte établie, traduit et commenté par Jehan Desange, édition les Belles lettres, Paris, (1980), V. III.
20- Salama (P), Les Voies romaine de L'Afrique du nord. Alger, (1951).